# الفقارة ودورها في الاستيطان البشري وهيكلة البناء الاجتماعي في القصر من خلال نظام الخراصة
## قراءة سوسيولوجية لمجتمعات توات في بلاد القصور أدرار

أ.تياقة الصديق، جامعة تيارت

**مقدمة:**

تعتبر ظاهرة الاستيطان البشري بالصحراء، أو ما يعرف بالتحضر ظاهرة اجتماعية تستحق الدراسة بغية اكتشاف الأسباب الأساسية المؤدية لها، ذلك أن الحضارات القديمة والتجمعات البشرية الأولى، كانت تقام بالقرب من المنابع المائية كالآبار والوديان(الحضارات المائية).كذلك التجمعات البشرية والعمرانية في إقليم توات، والمتناثرة هنا وهناك، الشبيهة بالأرخبيل من الجذر المتناثرة في البحر والمعروفة بـــ"**القصور**" لا تشذ عن هذه القاعدة العلمية، فقد أقيمت في ذلك الوسط الايكولوجي الجاف أولاً، بالقرب من المنابع المائية كالوديان والآبار، وبعد جفافها أنجزت الفقارة لتأمين ضرورة الماء من أجل البقاء والاستقرار.

وإذا كانت الفقارة في صحراء توات القاحلة أمنت الحياة وساهمت في الاستقرار البشري، في ذلك الوسط الايكولوجي الجاف، فأنها لم تتوقف عن ذالك بل ساهمت في رسم معالم البناء الاجتماعي التراتبي القائم على النسب واللون، وذلك من خلال نظام "**الخراسة**" وتمليك الماء. نحاول في هذه المداخلة توضيحه وذالك من خلال التركيز على محورين أساسيين هما: دور الفقارة في الاستيطان البشري في إقليم توات، وثانيا كيف ان الماء(الفقارة) أرست، وساهمت في وهيكلة البنية الاجتماعية في القصر. ذلك أن مجتمع توات، هو المجتمع الوحيد في العالم، وبعض مجتمعات صحراء المغرب العربي من بين المجتمعات الواحية التي تعرف نظام هيرولروجي (مائي) المتمظهر في نظام السقي التقليدي عن طريق الفقارة، وان وجد ما يشابهه في مناطق الصحراء، مثل جنوب إيران واليمن وبعض واحات العالم العربي، فليس هو بالكيفية المنظمة والتأثير الذي هو عليه بأقليم توات من حيث هيكلة التجمعات البشرية المعروفة ب"**القصور**" أكثر منه(الماء) أساسا للبقاء وبعث الحياة في الصحراء مثلما ما هو في بعض المناطق الجافة ليس إلا، وصياغة النظام الاجتماعي وكافة البنى الاجتماعية السياسية منها، والاقتصادية، لأنه يدخل ضمن الملكية الخاصة والرأسمالية الإنتاجية كونه ثرة حيوية ذات قيمة عالية في ذلك المجتمع. لكن قبل البدء يجب علينا القيام بتعريف "**الفقارة**" و"**القصر**".

* **تعريف الفقارة:** من الوجهة الجيولوجية هي مجموعة من الآبار المتقاربة والمتصلة مع بعضها البعض عن طريق خندق أرضي، تمتد خارج القصر على مسافة تزيد أحيانا عن خمسة كيلومترات، وبالتدريج يخرج الماء على سطح الأرض ليمر في الساقية بالقصر لأغراض وظيفية واجتماعية، ثم يستمر إلى الواحة، التي يوزع فيها عن طريق تنظيم محكم ودقيق، حسب درجة كل مالك، وهي نموذج لاستخراج واستغلال المياه الباطنية، تنفرد به منطقة الجنوب الغربي الجزائري وبالخصوص منطقة توات.

* **القصر في الجنوب الغربي الجزائري:**

هو قرية محصنة أو بالأحرى مجموعة كتل( تكتلات) سكنية متراصة، ومتلاحمة فيما بينها. يقطنها مجموعة افرد أو مجموعة عائلات موسعة، كثير ما تنتمي إلى أصول عرقية واحدة وطبقـــات اجتماعية مشتركة، وقد تكون مختلفة. يحيط بهذه التكتلات سور مدعم بأبراج ركنية (في الزوايا)، وتتخلله مزاغل، وقد تخلوا القصور من ذلك ليعوض عنه بجدران البيوت الخارجية لتشكل في النهاية ما يشبه السور يحيط بكل إرجاءها.

**I- الأودية: هيكلة التنظيم المجالي والاستيطان البشري بإقليم توات.**

**I-1- إقليم توات: مجاري من الوديان ...أرخبيل من القصور.**

من خلال موقع أقليم توات جنوب غرب الصحراء الجزائرية التي هي جزأ من الصحراء الأفريقية، تبعد أقرب نقط منه إلى العاصمة الجزائرية بحوالي1500كلم، يحتوي هذا ألإقليم على أعداد هائلة من الواحات والمدن والقصور، تزيد عن 350 واحة متناثرة هنا وهناك على رمال الصحراء، أشبه بالأرخبيل في البحر، ويقع الإقليم بين دائرتي عرض 62 و 03 درجة شمالا، وبين خطي طول 4 الى01 شرقا، وهذا الموقع امتداد طبيعي لمنخفض تانزروفت نحو الشمال. والإقليم حاليا يقع ضمن إقليم ولاية أدرار وجزء من ولاية تمنراست. وبذلك يضم جزء من قصور تيميمون غربا، حتى عين صالح شرقا. ويقسم الى ثلاث مناطق، تعرف المنطقة الأولى باسم منطقة قورارة( تيميمون) والثانية(أدرار)، وتعرف باسم منطقة توات الوسطى، والثالثة باسم منطقة تيدكلت(أولف)، وتعرف المناطق الثلاثة مجتمعة ب" إقليم توات".

تمتد مدن وقصور ألإقليم في سهول رملية جنوب العرق الغربي الكبير، وحول هضبة تادمايت من جهاته الثلاثة الشمالية والغربية والجنوبية، وينتهي بالإقليم ثلاثة أودية تصب مياهها فيه

لتغذي الفقاقير والآبار بالمياه التي بعثت الحياة في هذا الجزء من الصحراء، وهذه الأودية هي واد" **أمقيدن**" الذي ينتهي بمنطقة **تيدكلت**، والذي هو امتداد لواد" **سفور**" الذي ينبع من المنيعة ويتجه غربا حتى تتلاشى معالمه بعض الشيء ثم يظهر من جديد باسم واد " **شيدون**" حيث يستمر في سيره غربا إلى أن ينتهي في منطقة قورارة مكونا سبخة تعرف باسم سبخة "**القورارة**"، أما الواد الثاني وهو" **وادي مسعود**" فيتكون من اتحاد وادي "**جير**"مع وادي"**زوسفانة**" عند منطقة " **فقيق**"، ثم يتجه نحو الجنوب وهنا يطلق عليه اسم واد "**الساورة**"، وعندما يصل الى منطقة " **كرزاز**" يغير اتجاهه نحو الغرب ثم يستعيد اتجاهه مرة ثانية نحو الجنوب وهنا يطلق عليه اسم واد" **مسعود**" وعندما يصل إلى مقاطعة "**تسفاوت**" يكون سبخة هناك، وبعد اختراقه لها يتجه نحو مقاطعة رقان، حيث يضيع جنوبها في صحراء تترروفت"[1]. أما الواد الثالث وهو واد "**قاريت**" من الشمال الشرقي لمنطقة تيديكلت، ويتجه جنوب غربها حتى يصل في نهايته بوادي مسعود ويصبح رافدا له.

إن وجود الماء واكتشاف الزراعة يعد الثورة الأكبر في الحياة الإنسانية، فنشأة الظاهرة الحضرية قديما كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بنشأة وتطور المجتمعات الزراعية، ذالك أن حضارات الماء وما صاحبه من تطور للأنشطة الزراعية مثل، أعمال جمع المحاصيل وحمايتها من الفيضانات، وريها، أدى إلى بروز تنظيم اجتماعي واقتصادي جديد (تقسيم العمل مثلا) كما "أن تقسيم المحاصيل يؤدي بدوره إلى تطور علم الحساب ونسخ هذه الأخيرة إلى على ألواح من الطين يعني ابتكار الكتابة".[2]

إن تاريخ الاستيطان البشري كله مرتبط بالثورات التقنية التي عرفها الإنسان خلال أشواط حياته الاجتماعية الاقتصادية المتعاقبة منذ العصر الحجري الأخير إلى يومنا هذا، كل ثورة كان لها أثر على إيقاع حياته اليومية ونمط إنتاجه وبنائه الاجتماعي وتنظيمه السياسي، كل ثورة أدت إلى ظاهرة حضرية مختلفة عن الأولى، لكنها تشترك في ميزة واحدة وهي أن كل ثورة ارتبطت ارتباطا وثيقا بنمط الإنتاج لذلك المجتمع وكيفية استغلال موارده المحلية في مسيرته الطويلة نحو التمدن، وعليه فالقصر- الذي أوجد بسبب الماء- بهيكله العمراني وتنظيمه الاجتماعي ليس هو سوى العنصر المعبر عن الترتيب الوظيفي الجديد الذي أنتجته الجماعة البشرية. إن كل استيطان بشري بمنطقة توات، يشكل ما يسمى" **قصراً** KSAR ".

## 2- أشكال ومراحل الاستيطان البشري الأولى بإقليم توات:

### 2-1- مرحلة الاستيطان الجيتولي:

يعود تاريخ الاستيطان البشري بإقليم توات إلى فترة ما قبل التاريخ المحدد باختراع الكتابة، الذي انتهى بهذا الحدث وكان أول ذلك في بلاد الرافدين وبلاد النيل حوالي الألف الثالث قبل الميلاد، وقد دلت معيشة بعض الشعوب على ذلك إذ أنها لازالت تعيش مرحلة ما قبل التاريخ، لعدم توفقها للتعبير عن أفكارها بالكتابة خاصة تلك التي تعيش في الأدغال الأفريقية"[3]. وان الشعوب التي استوطنتها في تلك الفترة هي قبائل الجيتول، قبل مرحلة اليبوسة للصحراء. ذلك أن العينات المختبرة أثبتت تواجد وتعايش الإنسان في هذه المنطقة قبل التاريخ مثل الكهف الموجود شمال شرق مدينة تيميمون، بـــ"**أمقيدن**" من رسومات لا تختلف عن التي اكتشفت في التاسيلي والهقار، وقد اكتشف فيه عظاما مسقولة تستعمل للقنص وقضاء مآرب الإنسان القديم، ومن ناحية أخرى دلت الاختلافات الشكلية على نمط السكنات وعلى إثر عدة أجناس تعاقبت على المنطقة بدليل شكل ومضمون وفعالية وكذالك وظيفة الأحياء المبنية والمعدة للإيواء عبر الزمن. كما أن هناك العديد من الآثار البحرية بين "تيمادنين" و"بودة" كالمحارات وبعض آثار الأشجار، مما يدل على أن المياه بالمنطقة كانت كثيرة والأودية تجري بها طوال السنة. مع العلم إن هذه المراحل لأشكال الاستيطان الإنساني لم تحدث بين عشية وضحاها، وإنما استغرقت كل مرحلة قرون عدة. ورغم تباعد المراحل الزمنية فان هناك عامل أساسي واحد تعلقت به وهو وجود تلك التجمعات قرب منابع المياه، فقد لعب نهر" **قير**"(الساورة) دورا أساسيا في الحفاظ على حضارة توات القديمة لاسيما تلك التي تركت لنا أثارا تتمثل في الحيوانات المتحجرة. كما تشير الأبحاث الأثرية والدراسات الأنثروبولوجية التي قام بها **إيجو** Higo بمنطقة" أولف" نواحي" **تيدكلت**" سنة 1955م، وقد توصل هذا العالم إلى إن هذه المنطقة قد عرفت حضارة الحصى والصناعات الحجرية"[3].

كما يعتقد الباحث الأنثروبولوجي جسالGSEL أن توات قد استوطنها شعوبا من أصل بيض، من حوض البحر المتوسط في القرن 6ق.م ولا شك انه يقصد " **الجيتول**" لتزامن الفترة التاريخية، سميت القبائل الضاربة هناك ب"**الجيتول**"[4]، وفضلا عن هذا، إن الرومان قد استعملوا طريق توات أثناء مرورهم إلى فغيغ وبلاد السودان في تلك الفترة.

### 2-2- مرحلة الاستيطان الزناتي:

توالت الهجرات الناتية بنهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلاديين للمناطق التواتية ليستوطنوا بها، فخطوا القصور والفقاقير، وقد كان قدومهم واستيطانهم على حافة واد "**قير**"،

ويشير بعض المؤرخين المحليين "إن زناتة قدموا من سلجماسة إلى توات على ثلاثة عشرة مرحلة للاستيلاء على قصور توات كان أول معسكر لهم في "**بودة**"، وفي المرحلة الأخيرة وجدوا واد" **قير**" قد جف فسكنوا على حوافه ثم نزلوا بقصور: "**بودة**"، "**تيطاف**"، "**تسابيت**"، "**أولاد براهيم**"، "**تسفاوت**"، "**تيليلان**" من قصور توات، أما "**تينكورارين**"، "**قورارة**" (تيميمون) فقد نزلوا بها واستقروا بقصور تيميمون، مثل: "**اولاد سعيد**" "**أولاد عيسى**"، "**تنركوك**". " **قصر قدور**". "**أغزر**"، وغيرهم من قصور هذه الناحية ومن الناحية الشرقية فقد نزلوا بالطريق الجنوبي إلى عين **صالح وأولف**، بقصر **أقبلي وتيط**"[5]. وقد تمكنوا من خط بعض القصور في الأماكن التي لم تندثر بها لغتهم بعد، خاصة تيميمون تيطاف وبودة إلا مؤخرا. ذلك ما يؤكده محمد بن عبد الكريم البكراوي في مخطوطه، درة الأقلام :"ان زناتة فروا إلى توات بعد انهيار دولتهم في القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي، وإنهم توجهوا صوب القبلة بعد أن قطعوا ثلاثة عشرة رحلة من سلجماسة إلى أن نزلوا بأرض بودة واستقروا هناك وحفروا الآبار واستعملوا واد مسعود مرعاً لمواشيهم، فوجدوا إن المكان آمن يصلح السكن فسكنوا وتوطنوا توات"[6].

استنادا لبعض المؤرخين و في مقدمتهم ابن خلدون حين يتكلم عن العمران البشري في المغرب العربي ومنه الصحراء. "وإلى ما يلي الجوف قصور، تينكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد ينحدر من المغرب إلى المشرق وفيها أمم من زناتة. ومن حيث الموضع كذالك لهذه القصور الذي كان على حافة الوديان الجارية التي نزل بحافتها زناتة، حيث يقول محمده بن عمر البداوي: "...قلت وتوات هذه هي قصور وافر عديدها على حافة واد كبير ينحدر من ناحية المغرب و عليه قصور توات"[7]. وهنا يقصد واد **ملوية**. نفس الشيء يقوله ابن خلدون: "وينبع من هذا النهر فوهة نهر ا كبيرًا ينحدر ذاهبا في القبلة مشرقا بعض الشيء ويقطع الشرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة ثم بعدها إلى تمنطيط ويسمى إلى هذا العهد "**قير**" وعليها قصورها ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويغوص في رمالها وعلى موضع مغاصه قصور ذات نخيل تسمى رقان وفي شرق بودة مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحراء. وفي شرق تسابيت إلى ما يلي الجوف قصور تينكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد وتنتهي من المغرب إلى المشرق وفيها أمم من زناتة"[8].

فالبربر الزناتة هم السكان الأوائل الذين نزلوا بالإقليم واختاروا موضع تلك القصور التي كانت في معظمها على حافة الوديان، حسب ابن خلدون، فهم الأوائل في الاستقرار بالمنطقة أسسوا

تلك القصور ومنذ ذلك التاريخ بدأت سمات التحضر بها، خلافا للعرب الذين جاؤوا فيما بعد و ظلوا في حيات الظعن والترحال. ويضيف ابن خلدون: "أما درعة فهي من بلاد القبلة موضعة جداً في الواد الأعظم المنحدر من جبل درن من فوهة يخرج من واد أم الربيع ويتساهل الى البسط والتلال، وواد درعة ينحدر إلى القبلة مغرباً إلى أن يصب في الرمل ببلاد السوس وعليه قصور الدرعة وواد آخر كبير ينحدر إلى القبلة مشرقاُ ببعض الشيء إلى أن يصب في الرمال جنوب تينكورارين وفي قبلته، وعليه من جهة الغرب قصور توات...".[9]

وهكذا استمرت هجرة القبائل الزناتية إلى الصحراء والاستيطان فيها بالقرب من منابع المياه وعلى حواشي الوديان، وبحثا عن الأمن و الأمان نظرا لبعد الإقليم عن مركز العمران ووقوعه في قلب الصحراء فقد بقي بمنأى عن مسرح النزعات والحروب التي شهدها المغرب العربي، وخاصة بعد رحيل الفاطميين عنه. لذلك اتخذه كثير من الأهالي ملجأ لهم فرارا من وجه أعدائهم أو هربا لعدم رضاهم عن الأوضاع السياسية عندهم وفضلوا سكن صحراء على الخضوع لحكامهم، عند منتصف القرن الثاني عشر ميلادي. وبعد قيام دولة الموحدين وما نتج عن ذلك من تعقب للموحدين للفرع الزناتي من القبائل البربرية دفع بأعداد كبيرة من قبيلتي "مغراوة، وبني يفرن" بعد قتل أميرهم مسعود بن وانة المغراوي إلى الهجرة للصحراء حيث نزلوا بناحية القورارة، ووادي الحنة"[10] بالإقليم التواتي.

**2-3- هجرات القبائل العربية:**

تجمع الدراسات التاريخية حول منطقة توات والتي هي جزء من صحراء المغرب العربي، على أن سكانها هم برابرة لكنهم شهدوا هجرات عربية متتالية مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وقد شهدت بلاد المغرب موجات هجرات القبائل الهلالية التي عربت سكانه عبر التاريخ نتيجة استيطانها بإقليم توات.

و يذكر ابن خلدون قبيلة معقل وهى إحدى القبائل العربية المهاجرة لصحراء بلاد المغرب انتجاعها لحياة الظعن والترحال في إقليم توات: "وكذالك تعود عرب عبيد الله للقيام برحلة الشتاء بنا جعتهم إلى قصور توات وبلدة "تمنطيط" بالصحراء وربما شاركهم في بعض الأوقات عرب بني عامر بن زغبة الذين يكتنفون من التوغل في الصحراء عند تيكورارين(قورارة) لا يزيدون، وبلغت رحلتهم هذه من الشهرة حتى يعود التجار الوافدين من الأمصار والتلول أن يرافقوهم إلى ماشيتهم، ثم يزيدون إلى بلاد السودان". فالقبائل العربية المكونة للمجتمع القصوري قد تسربت عبر طريق

التجارة صوب الجنوب، عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى في الصحراء، هذا ما يذكره ابن خلدون: "وأصبحت القبائل العربية من المعقل تنتجع الرمال إلى مواطن الملثمين من (لمتونة ومصوفة وكدالة) إلى نهر السنغال، وهكذا كانت مدن "**اوليل**" و"**ادرار**" و"**ادوغشتن**" من مجالاتهم خصوصا وأنها الأبواب المباشرة على تجارة السودان"[11].

## 3- عوامل ظهور القصور(الاستيطان البشري):

يمكن اعتبار عامل الهجرة(زناتية،عربية) السابقة الذكر سبب رئيسي في تكوين المدن الصحراوية لكن ما لذي وجه تلك القبائل أن تقيم هنا وهناك في مناطق معينة، أو تؤسس في خط واحد، أو مبعثرة هنا وهناك أشبه بالأرخبيل في البحر، هذا التبعثر هنا وهناك، أو هذا التجمع في إقليم معين (**توات**) دون غيره من الجهات الصحراوية الأخرى، مما يطرح تساؤلات أمام عالم الجغرافية وعالم الاجتماع على حد سواء حول الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة، سيما وان توفر الأسباب الطاردة للسكان بالإقليم أكثر منها جاذبة لهم. بالطبع هو الماء ومنابعه المتمثلة في الآبار ومجاري الوديان.

## 3-1- الوديان وأثرها على التوزيع المجالي القصور توات:

الماء أساس التحضر، فقد كان واد النيل سببا مباشر في قيام الحضارات الفرعونية، كما أن نهري دجلة والفرات أنتجت حضارة بابل على ضفتيها، في حين لعب سد أرب دور تاريخيا في أنتاج حضارة اليمن القديمة.

طبوغرافيا يغلب على إقليم توات طابع الحمادة والرمال، كونه يقع ضمن الصحراء الإفريقية وامتداد للصحراء العربية وبذلك يحمل كل خصائص الأقاليم الصحراوية، لكن تتخلله وديان هي واد الساورة وواد "**أمقيدن**" ووارد "**مسعود**" وعلى حافة هذه الوديان تموضعت القصور: يقول عنها أبن خلدون:" ومدن وأقاليم هذا الإقليم تمتد في سهول رملية، جنوب العرق الغربي الكبير وحول هضبة " **تادمايت**" من إقليم توات في قبلة المغرب الأوسط هناك أرض محجرة تدعى عند العرب ب"**الحمادة**" إلى بلاد ريغ واردة في جهة الجنوب بعض بلاد الجريد ذات نخل وأنهار معدودة في جملة بلاد المغرب مثل بلاد "**بودة**" و"**تمنطيط**" في قبلة المغرب الأقصى وتتكوراين في قبلة المغرب الأوسط".[12]

ويذكر محمد بن عمر البداوي في مخطوطه "وتوات هذه هي قصور وافر عديدة على حافة واد كبير ينحدر من ناحية المغرب وعليه قصورها" أي قصور توات وهو واد " **ملوية**" ويقول عنه ابن خلدون: "وينبع من هذا النهر فوهة نهر كبير ينحدر ذاهبا إلى القلبة مشرقا بعض الشيء ويقطع الشرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة". ثم بعدها "**تمنطيط**" ويسمى لهذا العهد "**قير**" وعليه قصورها إلى أن يصب في القفار ويغوص في رمالها، وعلى موضع مغاصها قصور ذات نخل تسمى "**رقان**" وفي شرق بودة مما وراءها قصور تسابيت من قصور الصحراء، وفي شرق تسابيت إلى ما يلي الجوف إلى قصور "**تنكورارين**" تنتهي إلى مئة قصرا أو أكثر في واد ينحدر من الغرب إلى الشرق وفيه أمم من زناتة ويستطرد قائلا " أما واد درعة فهو بلاد القبلة موضوعة في الواد الأعظم المنحدر من جبل درن ومن فوهته يخرج أم الربيع يسير في البسط والتلول ينحدر إلى القبلة مشرقا بعض الشيء إلى أن يصب في الرمل في بلاد السوس وعليه قصور الدرعة وواد آخر ينحدر إلى القبلة مشرقا يصب في الرمل"[13]. فبفضل هذا العامل الطبيعي(الماء)، والحركة التجارية ومحاورها الكبرى التي تحكمت فيها الوديان ومنابع المياه، انتشر ما يزيد عن 300 قصر وسط الصحراء.

### 3-2- الحركة التجارية:

إن تجمع السكان بالصحراء قديما كان يخضع لحركة النقل التجاري، "المسماة بالنقل الصحراوي، الذي أخذ اتجاه منطقة السودان وشمال إفريقيا عامة محاور لنفوذه، إلا أن هذا الترحال كان يستقر به الحال قرب مجاري أو عيون مائية أو آبار مشكلا ملتقى لهذه القوافل التجارية الذي أصبح فيما بعد تجمعا سكانيا يعرف بالقصور"[14].

فإذا كان القصر وليد الحركة التجارية، فإن الماء كان الموجه الأساسي لطرق تلك التجارة التي كانت أقطابها منابع المياه. كما أن التجار يحط بهم الرحال للاستراحة والتموين قرب آبار والمنابع المائية، فلا غرابة إذا أن نجد بعض التجمعات تأخذ اسم البئر مثل "**رقان**" والتي تعني البئر، "**أوقروت**" التي تعني بئر الملتقى أي البئر الذي كانت تلتقي عنده القوافل، مثل " **تمنطيط**": هي لفظ مركب من أسمين بربريين هما "**تما**" وتعني حجب و"**تيط**" وتعني العين عين(مصدر) الماء " وأخذت البلدة التسمية من الاسم الوظيفي لها، فبعد أن كانت القوافل التجارية تترد على ذلك المنبع المائي، لم يجدوه أثناء أحدى رحلاتهم، ولما سألوا عنه قيل لهم أن القصر حجبها، أي أسس عليها (قصر "**تمنطيط**")، ناهيك عن إن القوافل التجارية كانت تسلك على حواف الوديان في حالة جريانها، وفي

وسطها في حالت جفافها حتى لا تضل بها السبل في ذلك الوسط الصحراوي الذي يصعب فيه إدراك المكان. ولأن القيمة السلعية آنذاك وهي "الملح" وللبحث عن مناجمها التي كانت توجد في نهاية مجرى كل واد، الذي يكون سبخة في مصبه. المنتجة لمادة الملح، هذه الأخيرة التي كانت ذات قيمة كبيرة في الأزمنة الغابرة.

إن مجاري تلك الوديان هي التي تحكمت في التنظيم المجالي والعمراني للقصور المكون لإقليم توات وكان لها القرار النهائي في الاستيطان البشري بذلك الإقليم، لاسيما واد مسعود.

ورغم تموضع هذه التجمعات البشرية وتوزعها يخضع للعامل الطبيعي فإن وجودها يتعدى ذلك إلى أسباب أخرى"اقتصادية ودفاعية وحضارية بالإضافة إلى أهمية العوامل الدفاعية والمناخية فإن العامل الاقتصادي هو الحاسم، فالقصور كانت محطات توقف وراحة ومخازن للغلال في أحيان كثيرة وأهمية هذا الدور تتمثل في حركة الموالين في عموم الصحاري في التوجه شمالا بعد أن تسمن الشياه ويتم الحصاد إلى مدن الساحل حيث المناخ اللطيف، فهم يبيعون لكي يشترون ما هو ضروري لهم لتبدأ رحلة العودة نحو الصحراء جنوبا مع مطلع فصل الصيف، حيث تتوفر مساحات الرعي والمناخ الدافئ"[15].

إن هذه المسيرة الطويلة تتجاوز مئات الكيلومترات تستدعي بلا شك محطات توقف لبيع جزء أو كل السلع المتوفرة ولخزن الحبوب لمواسم أخرى كأيام الحر. ان هذه المحطات تحتاج بلا شك إلى فضاء حضاري مستقر والذي هو القصر والاستقرار يستلزم الزراعة والمياه لتأمين الغذاء، كما أن الرحيل والتنقل كان وراء البحث عن الغذاء لذلك ظهرت القصور بالقرب من الواحات والأماكن الغنية بالمياه.

إن القبائل العربية المنتجعة في إقليم الصحراء ومنه إقليم توات بالتأكيد كانت شديدة التبعية لرحمة الطبيعة من ماء وكلاء الذي ينظم اقتصادها الموسمي المتمثل في الرعي، وحركتها في البحث عن العشب والكلأ سواء في حالة إقامتها أو ظعنها، كانت رهينة الدورة الهيدرولوجية للأمطار.

## II- النظام الهيدرولوجي وأثره على البناء الاجتماعي في القصر:

المجتمع القصوري أو القصور بصفة عامة مدن مائية، أي أن سبب وجودها هو الماء، وهذه سمة مجتمعات الصحاري المستقرة، أي والعمران البشري في المناطق الجافة، ذلك من التلقائية انه لا يوجد تجمعات عمرانية بدون واحة، ان كل عمران بالصحراء لابد ان يخضع في تنظيمه الاجتماعي

والسياسي للنظرة المتعلق بالماء من طرف هذا المجتمع، فالمجتمعات الواحية هي مجتمعات هيدرولوجية بامتياز.

**1- أنظمة الري التقليدية وطرق اكتساب:**

**1-1- طريقة التمليك:** يتم اكتساب الماء في الفقارة في المجتمعات الواحية في جنوب الجزائر على طريقتين هما طريقة العمل وبالتالي التمليك، يعني الحصول عليها عن طريق العمل، والطريقة الثانية هي طريقة "**الخراصة**"، ولا وجود لعملية بيع الماء أو شراءه، فهي عملية ممنوعة منعا باتا في أعراف المجتمع القصوي. وإذا كانت الثروة تكتسب بالعمل على حد تعبير كارل ماركس، ومن لا يعمل لا ثروة له، فان العمل في الفقارة ليس في صالح كل فرد أو فئة اجتماعية مما يحيل دون اكتسابها لحصص مائية في الفقارة وبالتالي تشكيل ثروة. ولا سبيل لها غير **الخراصة** قصد تلبية حاجياتها من الماء.

قبل ظهور عوامل انكسار وتفكك نظام التقنين العرفي المتعلق بالماء(الخراصة) في المجتمع القصوري مع دخول الاستعمار كان بيع الماء والأرض يمنع منعا باتاً وهذا راجع للأسباب التالية: — الحفاظ على انسجام العرش وعدم إدخال أي غريب في الملكية، انغلاق الحراك الاجتماعي، أي غياب مؤثر خارجي، كما ان يعتبر ملكية الماء أساس السيادة في المجتمع. لذا حاول الملاك صياغة نظام قانوني وعرفي يحرم (حتى إن التحريم جاء باجتهاد الفقهاء) بيع الماء. ذلك "**أن** ملكية الوسيلة مصلحة بتعبير رجال القانون يتطلب الحفاظ عليها تحويلها إلى حق، أي إلى مصلحة معترف بها من طرف الآخرين ويستوجب ذلك صياغة قواعد أخلاقية وعرفية وقانونية لحمايتها. وطبيعة أن الذي يملك الوسيلة يملك القدرة على تفصيل القواعد التي تجعل مصلحته حقا. بعد ذلك تنشأ لديه استقلالية فيكون متبوعا ويكون المعدومون تابعين على مضض أو عن رضى، تتأكد تبعيتهم بالقدر الذي يكون به إشباع حاجياتهم مرتبط بالوسائل التي لدى متبوعهم، وان طبعت علاقته بهم بالعنف والاستغلال"[16]، لذا كان اللجوء إلى عرف "**الخراصة**".

**1-2- نظام الخراصة:**

تعرف على أنها عبارة عن عقد اجتماعي يتضمن كراء الماء(تخريصه)، يقع بين ذمة الخراص والمخرص له، لأجل تخريص(كراء) كمية من حبات الماء(خراريب، حصص) الماء الجاري في الفقارة، يعني كراء واستأجار كمية من الماء لمن لا يملك حصص في الفقارة من أجل سقي أرضه، مقابل الحصول على كمية من المحصول الزراعي نهاية الموسم الزراعي بعد جني المنتوج، يكون تمرا أو قمحا

حسب ما هو متفق عليه بينهما كما ونوعا، وهو عبارة عن عرف اجتماعي هيدرولوجي، ساد منذ نشأة الفقارة و لا يزال يحافظ على انسجامه وكيانه مع أحداث بعض التغيرات في كيفيات وأساليب تواجده"[17]، ويعتبر هذا النظام الهيدرولوجي مجموعة علاقات اجتماعية تربط أفراد المجتمع في أطار عرفي"[18].

**2- البناء الاجتماعي للفقارة:** الماء بصفته العامل الاقتصادي الأكثر حيوية عامل محدد للأشكال الاجتماعية التي تظهر عليها الخارطة الاجتماعية للمجتمعات الواحية، وعامل أساسي محدد لأشكال بنياتها الاجتماعية.

إذا سلمنا بأن الفقارة مؤسسة سوسيو مهنية بعمالها العاملين فيها فإنها مؤسسة شبه خاصة أو خاصة. ذلك أن معظم عمالها ليست لديهم ملكية فيها، أما الذين لهم ملكيات فيها، فتتباين حصصهم المرخص لهم بامتلاكها عن طريق ساعات العمل المسموح لهم بها في الأسبوع أو اليوم، وذلك يرجع تبعا للمؤسسين الأوائل الذين أنجزوها وعليه فهي مؤسسة مرتبطة بعائلة أو مجموعة عائلات، وما توسيعها إلا نتيجة توسع تلك العائلات من الجيل الأول والثاني والثالث وحتى الجيل الرابع وتشكل عوائل جديدة. لذالك توجد غالبا في كل قصر أكثر من فقارة، كل فقارة خاصة بجماعة قرابية مشكلة من مجموعة عائلات تربطها علاقة دموية. بلا شك، تكون حصصهم مختلفة ليست بالاختلاف الكبير إلا حسب درجة القرابة للمالك الرئيسي للفقارة والمؤسس الأول لها سواء كان شخصا أو عائلة والتي غالبا ما تكون ملكيتها اكبر وذلك لتعدد أسرها النووية وكثرة رجالها القادرين على العمل والذين يعول عليهم في تنمية الملكية.

إما الأسر الجديدة الداخلة للقصر للسكن أو طلبا للجوء والحماية، تبقى تعمل كأجيرة في الفقارة لصالح العائلات المالكة والتي غالبا ما تبقى تحت حمايتها وولائها، وتعمل في بساتينها عن طريق عقد "الخماسة"، من أجل كسب قوتها اليومي، وان حدث أن ملكت خراريب (حصص) في الفقارة وقامت باستغلال أرض زراعية لها عن طريق الأحياء فأن ملكيتها تبقى محدودة من ماء وأرض.

على هذا الأساس تبدو الفقارة مؤسسة خاصة أو شبه خاصة ذات أسهم، تعكس البنية القرابية والهرمية في المجتمع الواحي اللامتجانس من الناحية الاجتماعية والاقتصادية وحتى العرقية، لكن مع ازدياد الهجرات البشرية لقصور توات ونشاط وحركة تجارة العبيد، وبالتالي أزدياد النسبة

الديمغرافية في كل القصور التواتية تقريبا، بدأت تتغير البنية الاجتماعية في القصر بعد إن عملت العائلات الداخلة للقصر أفرادا و مجموعات لدى العائلات الكبيرة والمالكة للحصص الكبيرة في الفقارة، مقابل قوت يومي، أو محصول زراعي قبل إن يعرف القصر نظام النقد.

كان معظم هذه الفئات من العبيد المجلوبين من أفريقيا وحتى الأحرار، والبربر، والأحرار الثانويين الذين ظهروا كفئة اجتماعية نتيجة زواج الفئات الاجتماعية الغنية، والمتأصلة في القصر من فئات العبيد أو اتخاذهم أماء. ومع توسع العائلات الكبيرة وملكياتها، تقاعست عن العمل لصالح الفئات الغير المالكة ومن ثمة أصبحت الفئة المهنية في الفقارة تتكون من العمال فقط دون الملاك بعدما كان يتكون من الفئتين، وبعدما كنت الفقارة مؤسسة خاصة أو شبه خاص تعكس البنية القرابية العائلية وتحفظ على وحدتها العصبوية القاعدية الغير القابلة للانقسام، تحولت إلى مؤسسة ريعية، وبعد إن كان المجتمع ذو بنية عائلية معززة بالملكية في الفقارة، أصبح ذو بناء طبقي مشكل من طبقتين أساسيتين، طبقة بورجوازية مالكة لحصص مائية كبيرة في الفقارة، وطبقة بروليتارية عاملة لا تملك سوى الجهد العضلي.

وبعد إن كانت الملكية والثروة تظهر على مستوى العائلة أصبحت تظهر على مستوى مجموعات اجتماعية ذات قاعدة عريضة، نتيجة توسع تلك العائلات المالكة إلى عائلات كبيرة، و أصبح لها وعي طبقي بذاتها وشعورها بوحدة انتماءها واعتزازها بنسبها. ذلك إن بعض العائلات التي حققت لنفسها ثروة معتبرة نسبيا سعت إلى أدعاء نسب شريف أو مرابطي، والانتماء لجد مشترك عن طريق اصطناع شجرة نسب موحدة، وعززت روابطها الاجتماعية عن طريق الزواج الداخلي بينها كشكل خطابي، وتشكيل ذاكرة جماعية واحدة يعاد تنشيطها بالحفل السنوي(الزيارة).

## 3- ملكية الماء وأثرها على التركيبة السوسيولوجية:

### 3-1- التراتب الاجتماعي:

يقوم المجتمع التواتي كلية على ترابية هرمية مؤسسة على النسب واللون، الذي يتحكم أفقيا في المنظر العام للخريطة الاجتماعية التي تظهر عليها المجتمعات الواحية، ورغم استفحال ظاهرة النسب في هذه المجتمعات التي تعتبر في آن واحد تشخيصا للانقسام الاقتصادي والاجتماعي، ومطية للارتقاء الاجتماعي والسياسي وهما معا سببا ونتيجة للثروة لمادية. إلا أن النسب مع ذلك- سابقا-

لا تمكنه الفروق المادية الحاصلة بين كل فئة نسبية حتى الداخل بالنسبة للأفراد المنتمين لنسب شريف أو مرابطي في المجتمع الواحي"[19]. لذا "يتعذر فهم التراتب الاجتماعي في المجتمع الجزائري الو احـــي على أساس النسب وحده، لوجود أسباب أخرى مرتبطة بالنفوذ الاقتصادي والسياسي وهذا النفوذ الذي سماه ابن خلدون بـــ"الجاه"، والاقتصادي السياسي"المعاش" فالوظيفة السياسية تؤثر على الثروة الاقتصادية وكليهما يؤثران على الواقع الاجتماعي"[20]. وهذا ما أدى إلى.

### 3-1-1- تكوين ثروتا الماء والأرض:

إن المجتمعات الصحراوية زراعية بالدرجة الأولى، إذ يغلب على نشاطهم الطابع الزراعي بصورة طاغية، فهم فلاحون قبل أن يكون مربي مواشي، أو حرفيين أو تجار أو أصحاب نشاط اقتصادي آخر. لذلك كانت الأرض والماء ذات أهمية أكبر بصفتها المورد الغذائي ومصدر الثروة الوحيد، لذا أحيطت بمجموعة من الأعراف والطقوس التي تحيل دون تفتيتهما ببيع أو قسمة، ونقلهما إلى الغرباء عن العائلة أو الأنساب البعيدين، بل أن الماء والأرض كانا الموجهين للعلاقات الاجتماعية ذاتها، كشكل العائلة وممارسة الزواج الداخلي، وممارسة السلطة السياسية.

فعلاقة الماء بالأرض علاقة طردية، فكلما كبر حجم الملكية المائية بازدياد حصص هذه العائلة أو تلك، بازدياد الأيدي العاملة من أبنائها، أو خدامها الأتباع من خماسين ومؤجرين، أزداد معهـــا مساحة الأرض المزروعة. فليست للأرض قيمة بدون ماء، وتحدد كمية الأرض المغروسة بكمية مـــا بها من "حبات الماء". وبالتالي تبرز العلاقة التالية: (الماء← الأرض← السلطة أو القوة).

لذلك فقد مثلث الأرض والماء مصدرا الثروة الوحيدين، وقاعدة أساسية للملكية بقـــرون عدة في ذاك المجتمع، إذ اقتصرت على فئة الشرفاء والمرابطين وبعض الأحرار، لذا كرســـت نظامـــا اجتماعيا طبقيا تلعب فيه الملكية إلى جانب النسب دورا طبقيا، بنظام اقتصادي وأسلوب إنتـــاجي متميز لعبت فيه الخماسة والخراسة أحدى معالمه الواضحة. فجاء تصنيف الفئات الاجتماعية بالنسبة لجميع القصور في الجنوب الغربي الجزائري على الشكل التالي:

- الشرفاء، والمرابطون.
- العامة، وتضم الأحرار والأحرار الثانويين(الحراثين)

### 3-1-2- أدعياء النسب الشريف:

لقد سعت كثيرا من الأسر إلى انتحاله والادعاء بامتلاكها لشجرة نسب صريح- حقيقا كان أم وهميا- الذي يصلها بإحدى الأجداد الشرفاء المشهورين ونجد هذا الإلحاح عندما ترتقي اسر لم تكن معروفة بشرف انتمائها، إلى مستوى مادي محترم حسب نسبية الثروة(الأرض والماء) في هذا المجتمع المتسم باقتصاد عيش الكفاف.

إذا يعتمد ذلك التصنيف على الانتماء السلالي ليكرسه الوضع المادي فيما بعد، وإن كان المركز الاجتماعي محسوما مسبقا عن طريق النسب، الشرفاء والمرابطون الذين يحتلون نظريا قمة الهرم الاجتماعي ليسوا جميعا في وضع مادي متميز داخل القصر بالنسبة للفئات الأخرى، كما أنهم ليسو جميعهم في وضع اقتصادي يحسدون عليه، لان ملكية الماء لم تكن بوسع كل فرد حتى وان كان ذو نسب شريف أو مرابطي حسب ما يدعي. وهذا ما يجعل حقيقة الفرز الاجتماعي كثيرة التعقيد، كما أن نظام الخراصة نفسه، عُرف يرسم معالم الطبقية في ذلك المجتمع، ويضع الحدود بين من يملك ومن لا يملك، وبصفته عرف سوسيو اقتصادي يحيل من امتلاك الفئات الاجتماعية ألأخرى من العامة ولاسيما فئة ما يسمون بـ"الحراثين" والتي تكون أسفل الهرم الاجتماعي حصص(خراريب) من الماء في الفقارة، وبالتالي تكوين ثروة. فهو نظام أستلابي أكثر من نظام الخماسة، لاسيما إذا لم يستطع المخرص له الإيفاء بالعقد المبرم بينه وبين المخرص وهو ما يسمى ب"**أنكسار الخراصة**"، أذاً ماذا يقصد بانكسار لخراسة.

وهي أن المخرص لم يستطع إن يوفي ببنود العقد الذي التزم به إمام الجماعة وهو تقديم ما كان متفق عليه في عقد الخراسة من محصولات إنتاجية للمخرص بغض النظر عن الأسباب المؤدية لذلك، كإتلاف المنتوج بعوامل طبيعية، كالجفاف أو الزوابع الرملية، أو آفة الجراد، أو سقوط الفقارة أو تخلي المخرص له عن العمل في البستان"[21]، فيتعرض للنفي من القصر بعد إن يجرد من بستانه. هذا التقليد العرفي لم يعمل إلا تكريس صراع طبقي بين فئتين اجتماعيتين فئة تملك حصص مائية في الفقارة والثانية لا تملك سوى الجهد العضلي، كما إن هذا المجتمع حاول صياغة نظام عرفي يحيل دون تمليك الفئات الأخرى للماء عن طريق بيعه (الماء) أو السماح لها بالعمل في الفقارة، مما يجعلها دائما رهينة الفئات الاجتماعية المالكة عن طريق العمل لديها.

**الخاتمة:**

تلكم هي سمة المجتمع الواحي الجزائري، الذي يشبه في تنظيمه وعلاقته بموارده مجتمعات واحية أخرى تقاسمه نفس البيئة، ونفس المدة الزمنية، مثل قرى فجيج وسلجماسة، وتافيلالت، منذ استيطان القبائل البربرية، حتى وصول الاستعمار للصحراء سنة 1900 الذي أحدث هزات وانكسارات في هذا التنظيم الهيدرولوجي بمشاركته هو في الفقارة(رزق البايلك)، وإحداث نظام الأجر لعماله فيها.

وبما أن الماء هو مصدر حياة الأرض والواحة، ويضمن الدورة الإنتاجية داخلها، كان بيعه يخضع لنظام التقنين العرفي في المجتمع قبل تعرضه للانكسار والتفكيك مع دخول الاستعمار، حيث كان بيع الماء والأرض يمنعان.

ولأن قساوة المعطى الطبيعي مع شح السماء في ذلك الوسط الإيكولوجي الجاف، كان الماء ثروة اقتصادية في ذلك المجتمع، ذو أهمية إلى درجة القداسة. أثر على البناء الاجتماعي في القصر، فلم يساعد على الاستيطان البشري فحسب، بل ساهم في رسم معالم البناء الاجتماعي وبالتالي كان له تأثير على العلاقات الاجتماعية من خلال أنظمة الري المستعملة وأهمها نظام **"الخراسة"**، لمن ليس بوسعه ملكية خراريب(حصص) في الفقارة.

ان طبيعة الملكية وعلاقات الإنتاج في المجتمع القصوري، وكما أثرا على البناء الاجتماعي في القصر، إنهما المحددان الأساسيان لمكانة الفرد والأسرة ضمن السلم الاجتماعي الترابي والقيمي للفرد، إذ يمكن الجزم بأن هذا المجتمع هو المجتمع الفريد في العالم الذي يعرف هذا التنظيم الهيدرولوجي للماء من حيث طرق الاكتساب والتوزيع.

ولكن لا يجب ان ننسى بان الماء ليس هو وحده العنصر الوحيد والمباشر في العمران البشري، فالاستيطان البشري بالصحراء يرجع إلى عوامل أخرى ما ورائية مقدسة، مثلما يقول الباحث الأنثروبولوجي:عبد الرحمان موساوي في كتابه حول ظاهرة المدن والقصور بالجنوب الغربي الجزائري، بعنوان "الفضاء والمقدس": "على عكس النظرة المنتشرة بين مؤرخي المنشآت الإنسانية، إن المدن ليست دائما نتاج المنطق الفيزيائي، وإنما هي غالبا نتاج معتقدات ومواقف روحانية، أين المعطى الأنثروبولوجي ألأكثر حضورا في التنظيم المجالي. كقيم سيميولوجية ومعطيات أسطورية، وهذا ما ينطبق على السكن في الوسط القصوري"، حيث أن كثيرا من هذه التجمعات السكنية كانت بسبب الزوايا وظاهرة المرابطة، والطرق الصوفية التي نشرت الإسلام في المنطقة، سيما وان

بعض القصور (أسست من طرف قبائل عربية) تحمل لفظ زاوية في أولها مثل زاوية حينون زاوية بلال، زاية الرقاني...الخ، في مقابل أن بعض القصور (أسست من طرف قبائل زناتية) تحمل أسم بئر كما أشرنا. ولكن ليس هناك قصر بدون فقارة فهي وريد أساسي له، بمثابة النخاع الشوكي للإنسان وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بها. وليست هذه المقاربة الأنثروبولوجية إلا دعوة لاستكشاف هذا الحقل السوسيولوجي الخصب لتحديده وفهمه، الذي مازال مجتمع بكر، بمنأى عن أية دراسة سوسيولوجية إذا ما استثنينا مقاربتي الأستاذ نذير معروف حول الفقارة، والأستاذ عبد الرحمان موساوي، ويبقى لكل مجتهد مصاب كما يقال.

**الهوامش:**

1. مقدم مبروك ، تغير البنيات الزراعية في المجتمع التواتي من بداية القرن التاسع عشر19، حتى نهاية القرن العشرين20، ورقة مقدمة للملتقى الدولي حول سوسيولوجة المجتمعات الواحية (إشكالية التحول والاستقرار)، سنة2000، لم ينشر بعد، ص01.
2. روبيرت جولي، الظاهرة العمرانية من العصر الحجري إلى يومنا هذا، مجلة معالم، المدينة وتنظيمها الحضري، العدد رقم 03، دار النشر مارينور، الجزائر، سنة1998، ص16.
3. محمد إبراهيم الميلي الجزائر في ضوء التاريخ ، دار البعث ، قسنطينة ،1980، ص14.
4. مقدم مبروك، نفس المرجع السابق، ص13.
5. حاج احمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات من ق 11 هـ إلى ق 14 هـ .( ق 17م ــ 20 م )، دار الثقافة لولاية أدرار،سنة2003،ص24.
6. مقدم مبروك، ص14.
7. محمد بن عبد الكريم البكراوي، درة الأقلام، ورقة05.
8. ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن جاورهم من ذوي السلطان الأعظم، المعروف بالمقدمة، الجزء السادس، دار الكتاب اللبناني، ط2، ص119.
9. نفسه، ص120.
10. نفسه، ص121.
11. وادي الحنة، تضم حاليا بلديتي زاوية كنتة، وأنجزمير جنوب ولاية أدرار.
12. ابن خلدون نفس المرجع السابق، ص121.
13. نفسه، ص121،120.
14. ابن خلدون عبد الرحمان، ج6، المرجع السابق، ص 121.
15. الدباغ جاسم، المجال والسكان، مداخلات الملتقى الوطني حول المجال والسكان، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2002،ص73.
16. نفسه، ص74.
17. حمداوي محمد، وضعية المرأة والعنف داخل الأسرة في المجتمع الجزائري التقليدي، دفاتر مجلة أنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية crasc، وهران، عدد01، سنة2004. ص85.

18. مقدم مبروك، المرجع السابق، ص06.

19. يقوم الخراص بالاتجاه نحو مالك الماء طلبا منه تخريص كمية من الماء لبستانه أي الاستفادة من ملكيته، ليتم الاتفاق على يوم محدد ومكان محدد وبحضور جماعة القصر، ولأهمية هذا العقد في المجتمع القصوري، كان لابد أن يجري في زمان محدد وهو بعد صلاة العصر أو عند الظهيرة، أما الفضاء الذي يتم فيه هذا العقد فهو مجلس الجماعة الذي يدعى ب"الدكانة" وهو المكان المخصص بصفته المجلس الإداري لجماعة القصر والواقع عند مدخل القصر او القصبة، وهناك من يسميه بفضاء "الجماعة" ويعرف في المناطق التي تنطق بالبربرية ب"تاجماعت" والمخصص لعقد اجتماعاتها ومناقشة القضايا العامة من عقود بيع أو زواج وطلاق وغيرها. للمزيد من التوضيح، أرجع للأستاذ مقدم مبروك، المرجع المذكور سابقا.

20. أحمد مزيان"فجيج". مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر4845-1903. منشورات كلية الآداب، الرباط،1989، 127.

21. تياقة الصديق. توقه ناجم، من القصر إلى المدينة، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في علم الاجتماع، جامعة وهران سنة2003. ص63.